البحث في علم النفس: نحو نموذج للأمة

حسن لانجلونج (Hasan Langgulung)

- *Toward Islamization of Disciplines, The International lnstitute of Islamic Thought, Islamization of Knowledge, No.6, 1989, pp. 113 - 130.*
- لغة البحث (الكتاب): اللغة الإنجليزية
- مجال البحث (الكتاب): أسلمة علم النفس – التأصيل الإسلامي للبحث في علم النفس.

❑ ❑ ❑

يستهل الباحث ورقته بالإشارة إلى أن (البحث) هو الجزء الأكثر أهمية في سلسلة الفاعليات والأنشطة التي يجب عملها في حقل علم النفس لكي يستطيع علماء النفس تأليف كتبهم. وقبل أن يبدأ الباحثون تأدية مهامهم في هذا الإطار عليهم أن يتذكروا المنهجيات والمشاريع البحثية المتباينة فيما يمكن أن تصنف إليه بحوثهم.

والدراسة القائمة – كما يصفها الباحث – محاولة لتوضيح تلك المشاريع التي يمكن للباحثين المسلمين أن تعمل لاحقاً على صياغة النموذج الإسلامي لعلم النفس أو للإنسان (كما هو موضح في الشرح اللاحق).

* ثم يستعرض الباحث مشكلات الباحثين في العلوم الاجتماعية وأزمتهم التي يدلل عليها من خلال غموض أو اضطراب الأهداف وطرق البحث في العلوم الاجتماعية التي تعود في أساسها للصراع أو التضادد الفكري أو الفلسفي الذي ينتاب القائمين على البحث في هذه المجالات .

ثم يدخل الباحث في تفصيل التشعب الفلسفي أو الفكري بين الواقعيين والمثاليين ليصل بعدها في محاولته لرسم أولى ملامح الفكر النموذجي وعلاقته بتقدم البحث العلمي. ويضرب الباحث (النموذج) أو المثال الذي قدمه (Kuhn) الذي اختبر التقدم الذي حصل في عدة فروع علمية: الكيمياء والفيزياء وخلص إلى أن التقدم العلمي الذي حصل في العلوم الطبيعية/ تاريخياً/ إنما يعود إلى

(النموذج) العلمي الذي هو عبارة عن إطار نظري أو طريقة لفهم هذا العالم من قبل مجموعة من العلماء تبنوه كوجهة نظر لهم في هذا العالم. فالنموذج العلمي يعمل كعدسات يمكن أن ينظر العلماء من خلالها لإدراك وفهم المشكلات العلمية في حقل اختصاصهم ومحاولة تشكيل أو صياغة إجابات علمية لهذه المشكلات.

* ثم ينتقل بعدها إلى أساس بحثه حيث يتحدث عن علم النفس والفكر النموذجي، ليدخل في فلسفة وجود الإنسان وخلقه (من وجهة نظر الإسلام) كفرد ومن مجتمعات أفراد لتكون الأمة (التي وصفها القرآن الكريم بخير أمة أخرجت للناس).

ويؤكد الباحث أن المجتمع المسلم يمثل نظاماً من العلاقات الاجتماعية – كهدف من عدة أهداف له – لإفشاء السعادة على هذه الأرض.

كما أن المسلم عندما يدعو الله سبحانه وتعالى(وقل ربّ زدني علماً) فإن المعرفة هنا تتأتى من طريقين: دراسة الطبيعة وما أوحي من الله. ومع التطور الفكري يتم التمتع بالجانب الأخلاقي جنباً إلى جنب، وفي هذه الحالة فقط يمكن أن تدرك (الأمة) المطلوبة.

* ثم يعرج الباحث إلى العصر الإسلامي الأول ليتكلم عن الصحابة وكيف تفقهوا واجتهدوا في أمور دينهم، وكيف جاء من بعدهم التابعون ليدخلوا في اجتهادات متعددة ضمن الإطار الإسلامي العام، لتكون هناك مذاهب في الاجتهاد والفقه وليدخل الإجماع والإستحسان والقياس والإستصلاح في رسم النموذج الفكري أو العقدي لأصول الفقه في الشريعة الإسلامية.

ويرى الباحث بأن هذا (النموذج) الفقهي الذي قامت عليه الأمة وتقدمت به، فإن نموذجاً علمياً نفسياً يمكن أن يصار إليه بغية التقدم العلمي للأمة.

* ويدخل في التقدم العلمي من خلال المجتمع النفسي Psychological Community حيث يرى الباحث أن تنظيم المجتمعات النفسية حول النموذج النفسي Psychological Paradigm (كما نظمت المجتمعات الفيزيائية حول النموذج

الفيزيائي) سيتمكن من تطوير علم النفس وتقدمه.

ويقدم الباحث تصوره للمجتمعات العلمية من خلال نموذج (الأمة):

- فالخلق: إنس وجن وملائكة
- والإنس أمة (يقصد بالأمة المسلمين أو الأمة المسلمة، فغيرها ليست أمة عند الباحث)
- والأمة (كمجتمعات كما يقسّمها) علمية وغير علمية
  - فغير العلمية هي: السياسة، الثقافة، البيئة، الإجتماع
  - والعلمية: وحي وأكتساب
  - وعلوم الوحي هي: التصوف، الفلسفة، الكلام (معتزلة، أشعرية أخرى) وفقه (مالكي، حنفي، حنبلي، شافعي، أخرى)
  - والعلوم المكتسبة: إنسانية ومادية
  - والطبيعة وهي: الفيزياء، الرياضيات، علوم الحياة، الكيمياء
  - والإنسانية وهي: الأنثروبولوجي، التاريخ، الاقتصاد، الإجتماع، علم النفس،
  - وعلم النفس: سلوك وإدراك وغيرها.

* ثم يتكلم الباحث عن مصادر المعرفة للمسلمين وكيف يمكن أن يحلوا نزاعاتهم أو جدلهم بشأنها.

ويستشهد الباحث ثانية بـ Kuhn كيف حل نزاعات العلماء في النموذج العلمي من خلال فهم ومساعدة علم النفس وعلم الإجتماع.

ويرجع إلى المسلمين ونموذجهم الذي يقترح أن يحلوا نزاعاتهم أو جدلهم فيه من خلال مساعدة نموذج الفقه: مصادر المعرفة التقليدية هي القرآن والسنة. ولأن القرآن والسنة ليس فيها كل التفاصيل لكل المشكلات التي ولدتها نمو وتفكير المجتمعات فاضطروا إلى استنباط أصول فقه جديدة مساعدة تنبع من ذات الأصول ولكنها تستطيع التعامل مع المشكلات الحادثة.

* وأخيراً ينحو الباحث إلى (نموذج الأمة)، ليبين أولاً أن كلمة (الأمة) يجب أن لا تترجم ويجب أن تؤخذ بصيغتها العربية الإسلامية الأصلية. لأن الأمة عبارة عن مجتمع كوني Universal يتكون من مجتمعات أو عرقيات استطاع الإسلام من خلال اعتناقها له لصبهم في نظام اجتماعي معين. كما أن مساحة هذه الأمة ليست الأرض حسب بل كل المخلوقات والخلق، والأمة ليست ولاية أو بلد لأنها تضم العديد من الشعوب. والأفراد هم جزء من هذه الأمة حتى لو كانوا غير منتمين جغرافياً أو سياسياً لأي بلد إسلامي.

فالأمة في هذا المفهوم ليست أمم متحدة وإنما النظام الاجتماعي للإسلام، وأن الحركة التي تبحث تحقيق أهداف هذه الأمة تسمى « أمية Ummatism». ومن هنا فإن النظام الاجتماعي للإسلام كوني يضم كل الخلق دون استثناء. والإسلام يدرك طبيعة التجمعات الإنسانية كقبائل وشعوب خلقها الله سبحانه وتعالى لتتعارف.

كما يدرك الإسلام أن هناك مجتمعات غير مسلمة تعيش مع الأمة جنباً إلى جنب ولكن هذه الأمة هي (الشاهدة) على كل الخلق (لتكونوا شهداء على الناس).

فالأمة إذاً قوة موحدة للنماذج المتباينة والمجتمعات ضمن المجتمع المسلم، وأن هذا التباين في النماذج مرحب به كمؤشر للتقدم ما دام لا يخرج عن حدود وخصائص الأمة.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

النموذج النفسي للامة، الأمة كمفهوم كوني، البحث العلمي في نموذج الأمة، التقدم العلمي.

❑ ❑ ❑

openkandil.com

ملاحظات:

- لاشك أن الباحث يطرح مفهوماً جديداً للأمة، وكأنه يبشر (بعولمة) إسلامية بصفة شهودها على كل الأمم والشعوب الأخرى من الخلق الإنساني.
- وقد تأثر الباحث بنموذج Kuhn عن التقدم العلمي الحاصل في البحث في مجال العلوم الطبيعية بسبب مرونة النماذج Paradigms المستخدمة فيه ضمن إطار نظري موحد. من ناحية أخرى فهو يعطي نموذج تعدد مصادر الفقه في الإسلام بعد أن كانتا القرآن والسنة فقط بسبب قدرتها ومرونتها لمتطلبات تغير الزمان والمكان. ومن هنا فإن النموذج النفسي الذي يقترحه الباحث يمكن أن يكون بهذه المرونة والتعددية ضمن الإطار النظري أو المفهوم الإسلامي للأمة كما يقدمه الباحث.
- عندما ذكر الباحث توزيعه للعلوم لا أدري لم أقتصر على كل عدد دون آخر، فكثير من العلوم: الهندسة والجيولوجيا والحاسوب... إلخ لم تدرج ضمن العلوم الطبيعة وكذلك ذات الشيء بالنسبة إلى العلوم الإنسانية، وربما كان ذلك للتدليل أو التمثيل دون الحصر. وبرأيي فإن الباحث قد جاء على مفهوم (الأمة) أكثر بكثير من (علم النفس) وإن لم يغب علم النفس عنه أصلاً.

❑ ❑ ❑

obeikandi.com